الثأر

أحمد ربيع

كان يسير في الفراغ ، وحيدٍ، مرتعبٍ، خائفٍ من شيءٍ ما ، الجو أميَّل إلى البرودة، والظلمة قد هبطت؛ فلم يعد يدري التوقيت، ربما تجاوزت الساعة منتصف الليل، الرؤية ضبابية في تلك الحديقة الجرداء التي يسير فيها، حتى أنه لا يرى ما أمامه، رأسه ثقيل، وخطواته كأنه شبه مشلول.

بإحساس المطارد ذاك الذي يتملكه، أكمل سيره للأمام لا يدري إلى أين يذهب، لكنه يستشعر الخطر إن توقف، لم يفهم السبب إلا حينما سمع هسيسها من خلفه، أو هكذا خُيِّل إليه، هل كانت خلفه أم أمامه، كاد يتوقف، لكن الصمت والظلام، والضباب البارد الذي يغلف الأرض بنوعٍ ما من الرطوبة، والندى الليلي ، وهسيسها المرعب الذي عاود الارتفاع ، أجبراه على التقدم وسط الرعب الذي اكتنفه من قمة رأسه حتى أخمص قدميه، وجدها أمامه، تمامًا حيث هو ذاهب، أفعى ضخمة، عملاقة تفغر فاهها على اتساعه، مبرزة أنيابها، مستعدة لبث سمها، وابتلاعه.

أفاق على صيحته الملتاعة، وقطرات العرق البارد على جبينه، أسرع إلى زجاجة الماء الملقاة عن يمينه، وأتبعها بحبة من المهدئ الذي صار لا يستغني عنه في الأيام الأخيرة، مد يده لتليفونه المحمول كي يعرف التوقيت، فصله عن شاحنه ، ما كاد

ينظر في شاشته حتى توقف مصعوقًا، ارتجفت يداه وتخشب جسده، باغته وجه غريمه، هناك تمامًا حيث كان ينظر، ارتسمت ضحكة صفراء على وجه يعرفه جيدًا، وجه رجل قتله هو منذ عام مضى ، نفس الوجه الذي جاءت به الأفعى في الحلم، اختفى حين حدق في الشاشة.

حاول استعادة أعصابه الهاربة وطمأنت نفسه، والتأكيد عليها بأنها مجرد تهيؤات، لكنه حين هم بالقيام وجد سلك الشاحن يهتز، وحده ، تولاه الرعب مجددًا، وهبط قلبه في قدميه، اتسعت عيناه، واحتبست أنفاسه ، وتسارعت دقات قلبه، أقنع نفسه بأنه يتوهم وأغلق عينيه حتى لا يرى، كاد يفتحهما بعد فترة حينما طقطق خشب السرير فذهبت روحه شعاعًا، لبث ينفخ حتى هدأ، وتمالك نفسه، حينما تجرأ على النظر ثانية، تحجرت عيناه في مقلتيهما وتوقف عن التنفس، شملته رجفة وبدأت أسنانه تصطك ببعضهما، حاول أن يقول شيئًا ما ، أن يهتف ، أو يصرخ ، لكن الكلمات احتبست بحلقه ، وأحس بجسده مقيدٍ، وعقلهِ مشلولٍ، غمره العرق البارد ، وعلت دقات قلبه حتى صار يسمعها بوضوحٍ ، كان السلك قد استطال وبدأ يتلوى بصمت مثير، تشكل وهو يقترب من وجهه ، تلاعب به وهو يتخذ طريقه لعنقه ببطء ، بهدوء ، بقوة قاهرة، لم يملك لها دفعًا ولا ردًا، ارتسم وجه غريمه المقتول أمامه في الفراغ ، والسلك يتحول لأنشوطة تحيط به وتبدأ في خنقه، تمكن بعد أن يحرر يده وأن يضعها بين عنقه والحبل ، لكن كان الأوان قد فات وتحولت الأنشوطة لأفعى أحكمت الامساك بخناقه ومضت تعتصر يده مع عنقه ، فتدميهما، بدأت رئتيه في الصراخ، وبحثت أنفه عن الهواء ، حاول أن يشهق ، وأن يتنفس من فمه مرة ، مرتين ، قبل أن يتمدد وجه غريمه أمامه

بحجم الفراغ كله، صعد للسقف وأحاط بجوانب الغرفة، وامتلأت نظراته حقدًا، وسخرية ، وتشفيًا، قبل أن يهجم عليه بوجه آدميٍ ، وجسد أفعى ، نفس التي كانت في الحلم ، شله الرعب ، وتوقف عن المقاومة، وأسلم الروح وهو يرتجف.

حينما جاء الطبيب لفحصه ، بعيونه المتسعة ، و فاهه المفغور ، وجسده المتخشب، وأمارات الرعب البادية على ملامحه، قال:

- أن الوفاة ناتجة عن صدمة عصبية قوية، ربما عن حلم صعب، كابوس بالأحرى لم يفق منه في الوقت المناسب!

opeikandl.com